مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 462 - 478 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

دور المقابلات الصرفية الاسمية في تحديد الوظائف النحوية المتشابهة: دراسة وظيفية لنماذج مختارة من القرآن الكريم

The role of nominal exchange interviews in determining similar grammatical functions

_ Functional study of selected models of the Holy Quran_

صبرينة بوعلاق *
Sabrina boualleg
مخبر: المقاربة التداولية واستراتيجيات الخطاب
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 (الجزائر)
University Mohamed Lamen Dabagin Setif 2(Algeria)
sa.boualleg@univ-setif2.dz

تاريخ الإرسال: 2022/08/03	تاريخ القبول: 2022/12/06	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

تحاول هذه الورقة البحثية إماطة اللثام عن مسألة نحوية مهمة يقوم عليها تكامل علوم اللغة العربية، والتي يساعد في إبرازها علم الصرف على مستوى تراكيب اللغة العربية؛ إذ لا تزال تشكل عائقا أمام الدّارسين في إيضاح هذه التراكيب وفهم معانيها، كقضية الوظيفة النحوية لأبنية الكلمات المكونة للتراكيب. وعلى هذا الأساس تمّ اختيار هذا الموضوع كضرورة لتذليل صعوبات تعلّم مقاصد اللغة العربية، وذلك بالاستناد على تحليل الكلام لفهم معانيه من خلال الدور الذي تقوم به المقابلات الصرفية ممثّلة بالجمود مقابل الاشتقاق، والتعريف مقابل التنكير في تحديد بعض الوظائف النحوية المستقلة والمتشابهة في النحو العربي، وبالاعتماد على المنهج الوصفي وآلية التحليل تمّ بيان كيفية كشف هذه المقابلات للوظائف النحوية في نماذج مختارة من القرآن الكريم.

الكلمات المفتاح : مقابلات صرفية، وظيفة نحوية، تركيب لغوي، لغة عربية، قرآن كريم.

Abstract :

This research paper attempts to uncover an important grammatical issue underlying the integration of Arabic language sciences, which is helped by the presentation of exchange science at the level of Arabic compositions, as it continues to be an obstacle for learners to clarify these compositions and understand their meanings, such as the issue of the grammatical function of the buildings of the words that make up the compositions. On this basis, this topic was chosen as a necessity to overcome the difficulties of learning the purposes of the Arabic language, based on speech analysis to understand its meanings

* صبرينة بوعلاق sa.boualleg@univ-setif2.dz

through the role played by pure interviews represented by rigidity versus derivation, definition versus disclaimer in the identification of certain independent and similar grammatical functions in Arabic grammar, and by following the descriptive approach and analysis mechanism how these interviews reveal grammatical functions in selected models of the holy Quran.

Keywords: Pure interviews, grammatical function, linguistic composition, Arabic, holy Quran.

مقدمة:

لمعرفة الوظائف النحوية المتشابهة في التراكيب النحوية اللغوية لا بدّ من الاستناد على علم الصرف الذي يساعد كثيرا في إيضاح المعاني النحوية نظرا للملامح الصرفية التي يُقيّد بها أبنية اللغة العربية على نحو المقابلات الصرفية كالجمود والاشتقاق والتعريف والتنكير، ولهذا كانت العلاقة واضحة بين علم النحو وقرينه علم الصرف في تكاملية بين العلوم اللغوية لأجل فهم مقاصد التراكيب من خلال الوظيفة النحوية التي تقوم بها كل كلمة داخل التركيب، ولبيان هذه العلاقة بين العلمين في ما يخصّ الكشف عن بعض الوظائف النحوية المتشابهة المستقلة يلزمُ الإجابة على التساؤل الآتي: على أيّ أساس يستند علم النحو في بيان بعض الوظائف النحوية في التراكيب العربية؟ وهل قام علم الصرف بالكشف عن الوظائف النحوية المتشابهة في الاستعمال القرآني اللغوي؟ وللإجابة عن هذا نعرض للنقاط الآتية:

_ علم الصرف وعلاقته بالتركيب اللغوي.

_ الوظيفة النحوية وعلاقتها بالمقابلات الصرفية الاسمية.

_ دور المقابلات الصرفية الاسمية في تحديد الوظائف النحوية لنماذج قرآنية.

أولا_ علم الصرف وعلاقته بالتركيب اللغوي:

1_ معنى التركيب اللغوي:

يُنظر إلى التركيب اللغوي الذي نعني به اللغة في إطار التعبير الإنساني من جانبين أولهما:[1]

الجانب الشكلي Formal الذي يعنى بالتركيب اللغوي في مستوياته الثلاثة:

_ **الصوتي** Phonology؛ ويُدرس فيه الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة.

_ **المستوى الصرفي**Morphology، وفيه يُنظر إلى بنية الكلمة.

_ **المستوى التركيبي**Syntax، وفيه يقوم الباحث بالتركيز على الجملة وتركيبها، وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، وحذف وزيادة... وغير ذلك. أمّا الجانب الثاني فهو الجانب الوظيفيFunctional approach ، وتتم فيه دراسة الوظيفة التي تقوم بها الكلمة في موقعها في الجملة، ومعرفة ما إنْ كانت الكلمة قد وقعت في موقعها

الأصل أو أخذت حركتها الأصل قياساً على ما جاء عن العرب، أو تغير شيء من هذا، وإذا كان قد تغير فما المعنى الذي كان له التغيير.

وفي إشارة أخرى لابن يعيش في توضيح معنى التركيب قوله:" أنْ تُركب كلمة مع كلمة تُنسب إحداهما إلى الأخرى...أو تُعَلَّقُ أحدهما بالأخرى على السبيل الذي يحسن به موقع الخبر وتمام الفائدة،"[2] فالتركيب إذن هو ضمّ وحدات لغوية بعضها لبعض شرط استفاء عنصر الفائدة الكامن في تأدية المعنى الوظيفي.

وللإلمام بالتركيب عموماً وجب التعرف على العلاقات النحوية بين عناصره عن طريق الوقوف على الوشائج المُؤَسَسَة على مدلول هذه العناصر ومضمونها، التي تعطينا بعدا تركيبيا جديدا للغة، من الممكن تسميته بالتركيب الداخلي؛ وهو الذي يجعلنا ننظر إلى كل تركيب نظرتين: أولاهما للتعرف على عناصره التي كونت إطاره الشكلي، وثانيتهما؛ لقراءة حقيقة العلاقة التي تقدّمها مضمونات هذه العناصر.[3]

واستنادا إلى ما سبق يمكن القول إنّ " استقامة الشكل وصحة الصناعة تحددها ضوابط وقيم خلافية عامة بعضها، ينتمي إلى الصرف وبعضها ينتمي إلى النحو"[4] ، فالتركيب إذن هو تلك العلاقة اللغوية بين العناصر المكونة للجملة.

2_ علائقية علم الصرف بالنحو:

يدخل مفهوم علم الصرف من منظور وظيفي _ من خلال خدمة معنى الجملة_ تحت"كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة أو_ بعبارة أخرى_ تؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية_ كل دراسة من هذا القبيل هي صرف"[5]، وفي هذا التعريف تظهر العلاقة التكاملية بين الصرف والنحو بالإضافة إلى الدلالة، خصوصاً في إطار الجملة كون " لعلم النحو جانبان، جانب صرفي وجانب دلالي، الجانب الصرفي يبحث في صيغة الكلمة، والدلالي يبحث عن معنى صيغة الكلمة، فالكلمة تُوظف في التركيب باعتبار صيغتها ودلالتها ويأتي ترتيبها في الجملة لمعنى خاص يراد بها في موضعها، ويختلف باختلاف وظيفتها التركيبية،"[6]وهاهنا إشارة إلى الوظيفة النحوية التي تتدخل في بيانها الصيغ الصرفية، وبهذا يتعالق الصرف بالنحو ولا ينفصلان باعتبار نظام اللغة نظاماً لغوياً متكاملاً.

ولتحديد ملامح الدراسة بشكل واضح لا بدّ من الوقوف على كيفية اشتغال نظام اللغة العربية خصوصا في شقّه النحوي، ومعرفة الدعائم التي يستند عليها؛ وقد فصل في القول، اللساني (تمام حسان) في النظام النحوي للغة العربية الفصحى الذي ينبني على الأسس الآتية: [7]

_ طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.

_ مجموعة من المعاني النحوية الخاصة أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والإضافة إلخ.

_ مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها. وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنوية على معاني الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية.

_ ما يقدمه علما الصوتيات والصرف، لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف(قرائن لفظية).

_ القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

فالنحو لا يتّخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من المباني.

ومن بين أهم المباني التي يقدمها علم الصرف لعلم النحو ويوجهه في تحديد الوظائف النحوية المتشابهة المقابلات الصرفية والتي اخترنا منها المقابلات الاسمية بغية فهم الظاهرة النحوية.

ثانيا_ الوظيفة النحوية وعلاقتها بالمقابلات الصرفية الاسمية:

1_ المقابلات الصرفية الاسمية:

يعدّ مبحث المقابلات الصرفية من أهم مسائل علم الصرف العربي، وذلك من خلال الدور الذي تقوم به في تحديد الوظائف النحوية؛ لأنّها بمثابة نبراس للنحويين والصرفيين أثناء تحليلهم لتراكيب اللغة العربية، ومن بين أبرز هذه المقابلات: الجمود مقابلا للاشتقاق، والتعريف مقابلا للتنكير.

أ_ الجمود والاشتقاق:

ينقسم الاسم من حيث الجمود والاشتقاق إلى قسمين: أمّا الجامد فهو مالم يُؤخذ من غيره ولم يُلْحظْ فيه صفة، وذلك يتمثل في أسماء الأجناس المحسوسة نحو(رجل وشجر وبقر) ويرى البصريون كذلك انتماء أسماء الأجناس المعنوية له مثل(نصر، وفهم، وقيام، وقعود).

في حين المشتق ما أُخِذ من غيره ودلّ على ذات مع ملاحظة صفة نحو(عالم وظريف)، فالاشتقاق يعني أخذ كلمة من أخرى مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ.[8]

ب_ التعريف والتنكير:

يَرِدُ الاسم في التركيب إمّا معرفة وإمّا نكرة، فالمعرفة هي التي تدل على اسم معين، وهي سبعة أنواع: " الضمير، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمقترن بـــ(ال) مثل: الرجل، والمضاف إلى معرفة، مثل: أخو زيد، والمنادى المقصود بالنداء، مثل: يا رجلُ." [9]

أمّا النكرة هي الاسم الموضوع على أنْ يكون شائعا في جنسه، إنْ اتفق أنْ يوجدَ له جنس، وأنكر النكرات شيءٌ، ثم مُتَحَيِّز ثم جسم، ثم نامٍ، ثمّ حَيَوان، ثم ماشٍ، ثم ذي رجلين، ثمّ إنسان، ثمّ رجل، فهذه تسعة لكُلٍّ منها مقابله، والنكرة هي الأولى، والمعرفة طارئة عليها.[10]

2_ الشروط الصرفية في تحديد الوظيفة النحوية المتشابهة:

إنّ الوظيفة النحوية بأبعادها الدلالية وشروطها الصرفية والتركيبية كما يراها نحاة العربية تعدّ منطلقا لتحديد صورها الجائزة في التركيب اللغوي منها: وظائف نحوية مستقلة بشروطها الصرفية والموقعية والدلالية ومنها ظواهر عامة لا تختص بمعنى نحوي ثابت كالذي في باب الاشتغال والتنازع، وبعضها يختص بوصف

العلائق التركيبية بين عناصر النظام النحوي كالذي نجده في الأبواب التي تتناول حروف الجر وعوامل نصب الفعل المضارع وجزمه.[11]

وعليه يمكن تعريف الوظيفة النحوية كمصطلح مركب " بالمعنى الذي تكتسبه الكلمة في التركيب من خلال ارتباطها بغيرها من الكلمات، أو هي الدور الذي تؤديه الكلمة من خلال وجودها في موقع مخصوص يعبّر عن معنى ما تحدده العلاقات التي تربطه بغيره،"[12] وفي هذا إشارة إلى تَدَخُّل الملحظ الصرفي للكلمة في الوظائف النحوية.

وتبعاً لذلك اهتدى النحويون إلى وجود علاقة مطردة بين الوظيفة النحوية والبنية الصرفية في التراكيب اللغوية؛ فالسمات الشكلية للأبنية الصرفية من نحو: التنكير والتعريف والجمود والاشتقاق تكون أصلا في تعيين كثير من الأبواب النحوية فوجدناهم يضعون شروطا تعود في أغلبها للبنية الصرفية لكل باب نحوي، وتمثل هذه الشروط معيارا يُلْتفت إليه في كثير من الأحيان، فالعرب يشترطون_ كما ذكر ابن هشام_ في باب شيئا، ويشترطون في آخر نقيض ذلك الشيء على ما اقتضته حكمة لغتهم وصحيح أقيستهم، فإذا لم يتأمل المعرب اختلطت عليه الأبواب والشروط. فالجمود والاشتقاق يعول عليها في التفرقة بين الوظائف النحوية المتشابهة، فالحال يكون مشتقا والتمييز جامدا، والصفة مشتقة، وعطف البيان جامد.

_ وللمعرفة مواقعها كذلك، فالألف واللام لا يكونان حالا البتة، فلو قلت مررت بزيد القائمَ كان قبيحا إذا أردت قائماً.[13]

ثالثا_ دور المقابلات الصرفية الاسمية في تحديد الوظائف النحوية لنماذج قرآنية:

1_ شرط الجمود والاشتقاق في كشف الوظائف النحوية المتشابهة:

لمعرفة وظيفة التقابل الصرفي في تحديد الوظائف النحوية لا بدّ من الإشارة إلى أهم الضوابط والقيم الصرفية كمعيار لتحديدها في نوعين: الأول؛ اشتراط الجمود لعطف البيان والاشتقاق للنعت، والثاني؛ اشتراط التعريف لنعت المعرفة والتنكير للحال والتمييز، وأفعل من(اسم التفضيل)، ونعت النكرة، ولذا خُطِّئ قول مكي في قراءة ابن أبي عبلة: ﴿ فإنَّهُ آثِمٌ قَلبَهُ ﴾ بالنصب: (إنَّ قلبَه تمييزٌ) لأن التمييز لا يكون معرفة والصواب أنّه شُبِّه بالمفعول به.[14]

وعليه يُعدّ مقابل (الجمود والاشتقاق) من أبرز الملامح الصرفية في تحديد بعض الوظائف النحوية، والتمييز بينها؛ إذ يُعول عليها في ترجيح وظيفة نحوية عن أخرى مشابهة لها، فهما يكوّنان مقابلين صرفيين وظيفتها اختيار بعض الوظائف النحوية المستقلة دون غيرها، نذكر منها:

أ_ بين الحال والتمييز(المنصوبات)

تقوم الحال بكل أنواعها بوظيفة بيان هيئة مقصودة بالفعل في التركيب، وبإضافة معنى آخر للجملة كونها " تضيف بعدا دلاليا جديدا للجملة من خلال تقييد العامل فيها (الفعل) بهيئة مخصوصة، كما يرتبط فيها الملحظ الدلالي بالشرط الصرفي ارتباطا واضحا" [15]، أمّا وظيفة التمييز فتمثل نموذجا واضحا للوظائف التي يشترك في

بيانها " بعدان متمايزان من أبعاد المعنى؛ إذ يبرز في حدّها الملحظ الدلالي مرتبطا، في الغالب بالشرط الصرفيّ، كما يعوّل في بيان الغرض منها على البعد التداولي الخارجي."[16]

فالملحظ الصرفي المذكور سابقاً له دور مهم في إبراز هذه الوظائف حيث يظهر في وظيفة " التمييز وإنْ أشْبَهَ الحال في كونه منصوبا، فضلة، مبينا لإبهام، إلا أنّه يفارقه في أمرين، أحدهما: أن الحال إنّما يكون وصفا إمّا بالفعل أو بالقوة، وأمّا التمييز فإنّه يكون بالأسماء الجامدة كثيرا ؟ نحو: «عشرون درهمًا» و«رطل زيتًا»، وبالصفات المشتقة قليلا ! كقولهم: «لله درُّهُ فارسًا»... الثاني: أن الحال لبيان الهيئات ! والتمييز يكون تارة لبيان الذوات. وتارة لبيان جملة النسبة[17]، فالتمييز إذن نوعين: تمييز ذات وتمييز نسبة، والحال بيان هيئة فقط.

ولتبيان دور هذه المسألة في تحديد بعض الوظائف النحوية نعرض لنماذج مختارة من التمييز بنوعيه (الذات والنسبة)، ولأخرى من الحال حسب قصدها في القرآن الكريم نذكر منها:

تمييز الذات الذي يعبّر عن أدق المعاني في الاستعمال القرآني، والذي يرد بعد الأعداد الصريحة، وذلك في نحو قوله عز وجلّ:﴿وَلَقَد أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً ﴾ [العنكبوت: الآية 14]، وفي هذا السّياق جاءت وظيفة التمييز(عامًا) مبينة للذات، لأنّها تمييز مفرد منصوب بعد العدد الصريح (خمسين).

وفي قوله تعالى:﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾[سورة التوبة: الآية36]، وردت (شهرًا) في هذا التركيب اسما جامداً وظيفته النحوية تمييز منصوب لغرض آخر، وذلك لمخالفة وظيفته الوظيفة المعتادة للتمييز لأنّه "جاء للتوكيد لا لكشف الإبهام، لأن الذات قبله(وهي العدد) غير مبهمة بل هي مفهومة من قوله في صدر الآية: إن عدة الشهور."[18]

وفي قوله:﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[سورة ص:الآية23]، جاءت المفردة (نعجةً) اسما جامداً لجنس محسوس على أنّها تمييز منصوب؛ لأنّ(نعجةً) جاءت بعد العدد الصريح (تسع وتسعون)، وعليه فهي تمييز مُفرد وظيفته تفسير مُبهمٍ قبله.

ومن تمييز الذات الذي يجري مجرى آخر خلاف العدد الصريح قوله عزّ ثناؤه:﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[سورة الكهف: الآية:109]، فـــ(مددًا) هنا تمييز مفرد منصوب، وفي هذه الحال مجيئه بعد كلمة "مِثْل" وهو ما أجري مجرى المقادير[19]، وفي هذا السياق ورد بغرض تفسير مبهم تَمَثَّل في (مِثْل) الجاري مجرى المقادير.

وفي الاستعمال القرآني كذلك هناك أسماء تشبه أسماء الكيل يرد التمييز بعدها مبيناً لها، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا﴾[سورة آل عمران: الآية91]، وردت مفردة (ذهبًا) تمييزاً منصوباً، نوعه تمييز ملفوظ مُفرد لمجيئه بعد ما يشبه أسماء الكيل وهو (مِلْء)[20]، ووظيفته الدلالية تظهر في تفسير وبيان مُبهمٍ قبله.

أمّا فيما يخصّ تمييز النسبة جاء مشابها للحال إلى حد بعيد خصوصا في بعض المواضع، وعليه وجب معرفة أنّ تمييز النسبة ينقسم إلى قسمين؛ محول وغير محول، وهذا الأخير له استعمالين واحد منها يخالف قاعدة الجمود كما سيظهر في النماذج الآتية: [21]

_ كفى بـــــــ+ اسم مجرور أو ضمير للجر هو الفاعل+ تمييز

_ فعل يدل على الذم أو لزوم الوصف + ضمير مستتر هو الفاعل + تمييز.

والنحويون يعربون الباء في الاستعمال الأول حرف جر زائداً، وما بعده فاعل كفى، والتمييز لرفع إبهام النسبة في الجملة.

وفي الاستعمال الآخر نجد مجموعة أفعال ذات دلالة إمّا على الذم أو المدح، وإمّا على لزوم الوصف، منها: حسُنَ- ونعم وبئس- وكَبُرَ، والتمييز هنا هو نفس الفاعل وليس صفة له.

ومن الشواهد القرآنية التي تُوضِّح تمييز النسبة (غير المحول) من الاستعمال الأول، قوله تعالى:﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[سورة الأحزاب: الآية3]، فالمفردة (وكيلاً) جاءت في سياق (كفى) الذي حدد وظيفتها النحوية في كونها تمييزا منصوباً، غرضه بيان نسبة الجملة (كفى بالله) المكونة من: الفعل كفى+ بـــ حرف الجر الزائد وفاعله لفظ الجلالة (الله).

وقوله عزّ وجل أيضا:﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[سورة الأنبياء: الآية 47]، ففي هذا الموضع جاءت المفردة (حاسبين) في سياق (كفى) على أنها تمييز منصوب بالياء والنون لأنّه جمع مذكر سالم، والملاحظ أنّها جاءت بهذه الوظيفة وفقا لنموذج الاستعمال الذي خالف قاعدة الجمود، أما وظيفة التمييز هنا؛ فبيان نسبة الجملة الفعلية(وكفى بنا) المكونة من: الفعل كفى + حرف الجر الزائد (بـــــ) وفاعله الضمير (نا).

وكنموذج للاستعمال الثاني، قوله عز وجل:﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[طه الآية:101]، ففي هذا الموضع جاءت المفردة (حِمْلاً) تمييزا منصوباً لكونها وردت في سياق الفعل(ساء)، لبيان نسبة الجملة المكونة من: فعل يدل على الذم + ضمير مستتر تقديره(هو).

وقوله أيضاً: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾[سورة غافر 35]، جاءت المفردة (مقتًا) في سياق الفعل الدّال على لزوم الوصف(كبُر)، لبيان نسبة الجملة المكونة من: الفعل(كَبُر) + ضمير مستتر تقديره(هو).

وهناك نموذج آخر لملحظ الجمود مع وجود قرينة اسم التفضيل، يعبّر عنه التركيب المكون من : اسم تفضيل+ مضاف إليه+ اسم جامد نكرة ، نحو قوله عزّ وجل:﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾[الزخرف الآية:8]، وردت لفظة (بطشًا) في هذا الموضع اسما جامدا لجنس معنوي بعد اسم التفضيل (أَشَدَّ) وبعد الفاصل (منهم) على أنها تمييز منصوب، وظيفته بيان نسبة الجملة التي قبله.

أما التمييز المحول عن المبتدأ والفاعل والمفعول به" يُعْدل به لقصد الاتساع والشمول والمبالغة"[22] وورد هذا النوع في قوله عزّ ثناؤه:﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[سورة الكهف:الآية34]، في هذا الموضع جاءت المفردة (مالًا) في التركيب تمييزا يدلّ على الجمودِ مسبوقاً باسم تفضيل، واستناداً على ذلك فوظيفته جاءت لبيان تفسير النسبة الخاصّ بالجملة ويُسمّى " تمييز نسبة لأنّه مُحوّل عن مُبتدأ، فأصلُ الجملة: مالي أكثر من مالك[23] ، ولفظة (نفرًا) كذلك تمييز محوّل عن مبتدأ والأصل: نفري أعزّ من نفرك.

وقولِه تعالى:﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[سورة مريم:الآية4]، دلّت (شيبًا) هاهنا على اسم جامد وتعني " بياض الشعر وقد يسمّى به الشعر نفسه"[24] الذي يقصد تفسير جملة (اشتعلَ الرأس)؛ أي أنه تمييز نسبة منصوب، وهو تمييز محوّلٌ عن فاعلٍ، فأصلُ الجملةِ: واشتعلَ شيبُ الرّأس.[25]

وفي قوله أيضا:﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾[سورة القمر: الآية12]، جاءت المفردة (عيونًا) جمعا لـــ(عين) وهي اسم جنس جامد؛ تمييز منصوب، نوعه تمييز جملة مُحوّلٌ، فهو في هذا الموضعِ تمييز محوّل عن مفعول به، وأصلُ الجملةِ: وفجّرنا عيون الأرض.[26]

ونختار للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين التمييز والحال، نوعاً محدداً من أنواع الحال؛ وهو الحال حسب قصدها لذاتها، وللتوطئة بها، والتي تنقسم إلى قسمين: مقصودة وهو الغالب، وموطئة، وهي الجامدة الموصوفة،[27] وذلك للدور الذي يمثله فيها مقابل الاشتقاق في إبراز وظيفتها النحوية؛ فالمقصودة غالبا ما تكون مشتقة والموطئة موصوفة بمشتق، غرضها بيان هيئة.

مجيء الحال بهذا الوصف السّابق في الاستعمال القرآني يعتمد على الملحظ الصرفي (الاشتقاق) عموما؛ أي الحال المقصودة لذاتها، ومن بين الآيات التي ورد فيها هذا النوع؛ قوله تعالى:﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[التوبة: الآية41]، وردت في هذا المثال لفظتي (خفافاً وثِقَالاً) حالان من المشتقات على النصب من واو الجماعة على وزن الصفة المشبّهة من الفعلين اللازمين المتضادين (خَفُفَ وثَقُلَ)بوزن جمع التكسير(فِعَال) الذي يفيد الكثرة مفرده (خَفِيف وثَقِيل) بمعنى" انفروا على الصفة التي يخفّف عليكم فيها الجهاد، وعلى الصفة التي يثقل عليكم فيها الجهاد[28] ، وذلك لبيان الهيئة الواجبة في الجهاد في سبيل الله.

وفي قوله تعالى:﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[طه: الآية86]، وردت كذلك لفظتي (غضْبان أسِفا) حالان من صيغ المشتقات؛ الأولى على وزن (فعْلان) الذي " يأتي من فَعِلَ اللازم الدّال على خُلُق، أو امتلاء، أو حرارة باطنية ليست بداء. ومؤنثه فَعْلى[29]،" وهاهنا صفة مشبهة باسم الفاعل للدلالة على حرارة الغضب الداخلية. والثانية على وزن(فَعِل) في لفظة (أَسِف) صفة مشبّهة أيضاً للدلالة على الكثرة والمبالغة في الحدث العاطفي لبيان هيئة رجوع موسى عليه السّلام ووصف الحالة الانفعالية النفسية التي رجع عليها " وقد اجتمع الانفعالان في نفس موسى لأنّه يسوءه وقوع ذلك في أمته وهو لا يخافهم، فانفعاله المتعلّق بحالهم غضب، وهو أيضا يحزنه وقوع ذلك وهو في مناجاة الله تعالى التي كان يأمل أن تكون سبب رضى الله عن قومه فإذا

بهم أتوا بما لا يرضى الله فقد انكسر خاطره بين يدي ربّه[30]"، هذا بخصوص الحال المشتقة التي تقوم ببيان الهيئة التي يأتي عليها الحدث.

في حين هناك قسم آخر يقع فيه الالتباس يسمّى الحال الجامدة الموصوفة، وهاهنا قد تلتبس مع التمييز الجامد، إلّا أن الفارق بينهما وصفها بالمشتق، وقد وردت في قوله تعالى:﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[مريم الآية:18]، في هذا الموضع وردت الحال(بَشَراً) منصوبة جامدة موصوفة بمشتق؛ متمثلاً في الصفة المشبهة(سَوِيًا) ومُسَوّغُ اعتبارِها حالًا هو وصفها بالمشتق لبيان الهيئة والكيفية التي تمثَّل بها سيدنا المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام).

وفي قوله عزّ وجل:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[الفرقان الآية:32]، وردت الحال (جملةً) جامدة موصوفة بمشتق (واحدةً)، وهي حال من (القرآنُ) نائب الفاعل بمعنى مجتمعاً، والعامل فيها الفعل الماضي المبني للمجهول (نُزِّلَ) المضعف، والتي جاءت لبيان هيئة تنزيل القرآن العظيم.

ب_ بين النعت وعطف البيان(التوابع)

ترتبط التوابع كالنعت وعطف البيان والبدل بمتبوعاتها ارتباطا تركيبيا ودلاليا، إضافة لاعتمادها على الملحظ الصرفي في بيان وظائف هذه التوابع، بحيث "كلّ تابع منها يضيف لمتبوعه بعدًا دلاليا متميزا يعكس مقاصد معينة ويناسب مقامات مخصوصة"[31]، إلاّ أنّ هناك فروق يتميز بها كل تابع.

فالنعت تابع مشتق أو مؤول به، يفيد تخصيصَ متبوعه أو توضيحه أو مدحه أو ذمّه أو تأكيده أو الترحم عليه؛[32] أي هو وصف بالمشتقات ذات الملحظ الصرفي للمتبوع في التركيب اللغوي؛ لأغراض دلالية مختلفة، إضافة إلى كونه " لا يوضح ولا يخصص الذات الأصلية لمنعوته بلفظ يدل عليها مباشرة، وتكون هي المرادة منه، وإنّما يوضح منعوته بصفة عرضية وأمر طارئ على الذات، كالفهم، والحسن، والطول..[33] " فالتوضيح بالمشتق يكون ببيان حالة عارضة خلاف التوضيح بالجامد.

أمّا فيما يخصّ عطف البيان فهو" اسم غير صفة يكشف عن المراد كشفها وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة من الغريبة إذا ترجمت بها،[34] فالملحظ الصرفي في عطف البيان إذن يتضح في الجمود " لأنّه تابع جامد _ غالبا_ يخالف متبوعه في لفظه ويوافقه في معناه المراد منه الذات"[35] إذ هو " عند النحاة، تابع يوضح، أو يخصص متبوعه، غير مقصود بالنسبة لا يكون مشتقا، ولا مؤولا بالمشتق، نحو (أقبل أبو محمد خالد) و(أَقْسَمَ بالله أبُو حفص عُمَر)" [36] فـ(عمر) و(خالد) عطفا بيان.

ودور عطف البيان في التراكيب اللغوية غرضه توضيح الذات إنْ كانت معرفة، و تخصيصها إنْ كانت نكرة بأمرٍ ثابت غير طارئ عليها ويتمّ ذلك " بلفظ يدل عليها مباشرة وهو عين معناها، فهو بمنزلة التفسير للأول باسم آخر مرادف له يكون أشهر منه في العرف والاستعمال من غير أن يتضمن حالة من الحالات العرضية التي تطرأ على الذات وتوصف بها، ولهذا يغلب أن يكون عطف البيان جامدا_ أي: غير مشتق _ فيكون كالعلم المجرد أو الكنية[37]، وهنا يظهر الفرق بين النعت وعطف البيان.

ومن الشواهد الواردة عن عطف البيان في القرآن الكريم، قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[الشعراء: الآية 106]، وهنا وردت لفظة (نوحٌ) اسما جامدا لاسم علم؛ بوظيفة متمثلة في ترجمة وتوضيح اللفظة التي قبلها(أخوهم) المُعرَّفة بإضافة الضمير (هم).

وفي موضع آخر ورد عطف البيان على غير شاكلته لأنّ ظاهره يتشاكل مع الوصف المؤول بالمشتق في حين هو اسم جامد يعرف من خلال التركيب، نحو قوله تعالى:﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:الآية16]، فـــــ(صديد) في هذا الموضع وردت بمعنى " المهلة، أي مثل الماء يسيل من الدمل ونحوه، وجعل الصديد ماء على التشبيه البليغ في الإسقاء، لأن شأن الماء أن يُسقي. والمعنى: ويسقى صديدا عوض الماء إن طلب الإسقاء، ولذلك جعل صديد عطف بيان لماء،[38] ولهذا ورد عطف البيان اسما جامدا خصص متبوعه (ماء) الذي عُبِّر عنه بملحظ النكرة.

وفي قوله عزّ وجل:﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ [المائدة: الآية95]، وردت لفظة (طعامُ) في التركيب اسماً مُضافاً جامدا غير مشتق بوظيفة " عطف بيان لكفّارة،"[39] والذي صوّغ مجيئها عطف بيان هو عامل الجمود الصرفي، بالإضافة إلى وظيفة دلالية تتعلق بتخصيص الكلمة التي قبله المتمثلة في (كَفَّارة) والتي جاءت نكرة.

أمّا فيما يخصّ توضيح وظيفة النعت (الصفة) التي تختلف عن وظيفة عطف البيان والتي يحددها الملحظ الصرفي للاشتقاق نمثّلُ لنعت الشيء بما اشتق من الألفاظ بكل أنواعه ببعض النماذج الآتية: وردت الصفة على سبيل تخصيص النكرة في سياقٍ لغرض إبلاغية تهويل موقف يوم القيّامة، في قوله تعالى:﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[القمر الآية:7]، وردت لفظة (منتشِرٌ) في هذا السياق اسم فاعل (مشتق) من الفعل المزيد بحرفين(انْتَشَر) للافتعال في وصف لاسم جنس جمعي نكرة يتمثّل في (جرادٌ)، وفي هذا السياق شبههم "بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم بعض من شدة الخوف زيادة على ما يفيده التشبيه من الكثرة والتحرك،"[40] وفي هذا دليل على هول الموقف وشدّته.

وكنموذج آخر لورود الصفة من اسم المفعول المشتق في مقام المدح والحُسن، قوله عز وجلّ:﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان الآية 19]، ففي هذا الموضع وردت لفظتي (مُخلَّدون ومَنْثُورًا) لتخصيص النكرة الموصوفة للفظتي (وِلدانٌ ولُؤلُؤًا)، وقد ورد الوصف في (مخلدون) بمعنى المدح ؛ أي " باقون على ما هم عليه من الشّباب والغضاضة والحُسن، لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحدة على مرّ الأزمنة."[41]

أمّا في سياق وظيفي آخر للنعت في توضيح المعرفة وردت في قوله عز وجلّ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[القارعة الآية: 4]، جاءت لفظة(المبْثُوثِ) معرّفة بـــ(أل) لاسم المفعول من الثلاثي (بثَّ) بمعنى " المتفرق على وجه الأرض" بوظيفة وصف (الفراش) بهذا الوصف لملاءمة سياق وموقف يوم القيامة

وتهويله حيث " شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الدّاعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار."[42]

وفي سياق آخر وردت الصفة المشبهة بصيغة (أفعل) لتوضيح المعرفة في قوله عز وجل:﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة الآية: 187]، وهنا مجيء الصفة معرفة من صيغة(أفْعَل) في لفظتي (الأبيضُ والأسودِ) لتوضيح لفظة (الخيط)؛ والذي يقصد به هنا أنّ " الخيط الأبيض هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود، والخيط الأسود ما يعتدّ معه من غبش الليل."[43]وفي هذا دلالة على ثبوت الوصف من اللون.

وقد وردت الصفة المشتقة من صيغة(فَعِلْ) لغرض التخصيص في قوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف الآية86]، في هذا السياق وردت الصفة المشبهة للمؤنث على وزن (فَعِلَة) في(حمئة) التي مذكرها (حَمِئ) لفظاً " مهموزا مشتقا من الحمأة، وهو الطين الأسود، والمعنى: عين مختلط ماؤها بالحمأة فهو غير صاف،"[44] تدلّ على ثبوت الوصف، لغرض دلالي وظيفي يتضح في تخصيص ما قبلها(عين).

ووردت الصفة من صيغ المبالغة في الاستعمال القرآني وصفا لله تعالى لغرض المدح والثناء"كالصفات الجارية على اسم الله تعالى جدّه."[45] ومن ذلك قوله عز وجلّ:﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[الشعراء الآية:217]، فالصفة (الرحيم) في هذا الموضع جاءت بصيغة (فَعِيل) المعرفة بـــ(ال) لوصف الله عز وجل بغرض توضيحه بالمدح والتعظيم.

2ـــ شرط التعريف والتنكير في كشف الوظائف النحوية المتشابهة:

أـــ بين الحال والنعت(الصفة)

للوقوف على الوظائف النحوية كما قيل سابقاً وما شابهها من وظائف؛ وجب علينا معرفة دور التعريف والتنكير في كشف بعض الوظائف المتشابهة كالتي بين الحال والنعت بالنظر إلى صاحب الحال والحال، والموصوف والصفة، وهنا لا بدّ من بيان صاحب الحال المراد كشف هيئته؛ إذ هو الاسم المعرفة التي تجيء الحال مبينة لهيئته، ويتنوع بين الفاعل والمفعول به والمجرور بحرف الجر وقد يأتي نكرة في حالات معينة، في حين أنّ الصفة (النعت) يتبع متبوعه في التعريف والتنكير.

وبناءً على ما سبق فإنّ الأصل في الحال النكرة؛ لأنها زيادة في الخبر والفائدة، وإنما تفيد السائل والمُحَدَّث غير ما يعرف، فإن أُدْخِلت الألف واللام صارت صفة للاسم المعرفة وفرقا بينه وبين غيره، والفرق بين الحال والصفة تفرق بين اسمين مشتركين في اللفظ، والحال زيادة في الفائدة، والخبر، وإن لم يكن للاسم مشارك في لفظه. ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بزيد القائم، فأنت لا تقول ذلك إلا وفي الناس رجل آخر اسمه زيد وهو غير قائم، ففصلت بالقائم بينه وبين من له هذا الاسم وليس بقائم، وتقول: مررت بالفرزدق قائما، وإن لم يكن أحد اسمه الفرزدق غيره، فقولك: قائماً، إنما ضممت به إلى الإخبار بالمرور خبرا آخر متصلا به مفيداً .[46]

ولبيان هذا الفرق نختار الحال وفقا لدلالتها المعنوية في الجملة، والتي تنقسم بدورها إلى نوعين؛ حال مُؤَسسة تحمل إلى الجملة معنىً تأسيسيا، وحال مؤكدة لا تحمل إلى الجملة معنىً جديدا، بل تكتفي بتوكيد ما تراه في الجملة من المعاني، فبالرغم من التشابه بين الحال والصفة في ملمح الاشتقاق والدلالة كما رأينا سابقا، إلا أنّه يمكن التفريق بينهما مع مراعاة ملمح شكلي يتمثّل في التعريف والتنكير، وللتمثيل نؤخذ النماذج الآتية:

وردت الحال في هذا السياق مؤكدة لصاحبها في قوله عز وجل: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾[آل عمران الآية: 39]، فلفظة(مُصَدّقا) هنا حال مشتقة نكرة من اسم الفاعل منصوبة في حين صاحبها(يحيى) ورد معرفا بالعلمية، وفي هذا السياق ملحظ التنكير هو الذي صوّغ مجيئها حالا لبيان هيئة.

وفي سياق آخر قوله عز وجل: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان الآية: 20]، وردت الحال(ظاهرةً)نكرة من اسم الفاعل لبيان الهيئة التي أسبغ الله عليها نعمه، في حين ورد صاحب الحال (نِعَمه)معرفا بالإضافة.

ووردت الحال كذلك نكرة وصاحبها معرفة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران: 96]، ورد صاحب الحال هنا اسما معرفا لأنه اسم موصول تمثّل في كلمة (الّذي) في حين(مُباركًا) وردت مشتقة لاسم مفعول نكرة منصوبة لبيان هيئة وضْع هذا البيت.

وفي موضع آخر ورد صاحب الحال معرّفا بـ(ال) التعريف، في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[الممتحنة الآية 10]، ورد في هذا الموضع صاحب الحال الفاعل(المؤمنات) معرّفا في حين خالفته الحال(مهاجراتٍ) كونها نكرة مجرورة لفظا منصوبة محلا لأنها جمع مؤنث سالم.

أمّا الصفة في الاستعمال القرآني وظيفتها التبعية للمتبوع في التعريف والتنكير؛ لكونها تابع يتبع الاسم إمّا بغرض التخصيص أو التوضيح على حدّ السّواء كما بيّنا سابقا، ووجه المقارنة بينها وبين الحال يكون على أساس (الحال وصاحبها) و(الصفة وموصوفها) كما أسلفنا الذكر.

ب_ بين البدل المطابق وعطف البيان

من بين التوابع التي تتشابه فيها الوظيفة النحوية؛ عطف البيان والبدل المطابق إلا أنهما يفترقان في الملحظ الدلالي على " أن عطف البيان فيه رجوع إلى الأول وتوضيحه بالثاني، فالمقصود بالحُكْمِ الأول والثاني توضيح له، أما البدل ففيه تقدير للثاني في موضع الأول فالمقصود بالحكم الثاني، والأول تمهيد وتوطئة له" وفي البدل المطابق " يكون الاسم الثاني فيه عين الاسم الأول.[47]وعليه فهو يتقارب من معنى عطف البيان إلاّ أنّه يمكن التفرقة بينهما بمراعاة الملمح الصرفي أيضا المتمثل في خاصية التنكير والتعريف وذلك كون " عطف البيان لا يخالف متبوعه في تعريفه وتنكيره، ولا يُخْتَلَفُ في جواز ذلك في البدل؛[48]" أي عطف البيان لا يمكن أن يخالف متبوعه في التعريف والتنكير، إضافة إلى كونه لا يكون بلفظ الأول كما قيل سابقا، بينما البدل يمكن أن يخالف المبدل منه في التعريف والتنكير وأن يكون بلفظ الأول بشرط أن يكون معه زيادة بيان.

ولمعرفة هذه الوظائف يمكن الاستدلال على ذلك من الاستعمال القرآني في كون البدل والمُبدل منه من التوابع التي لا تتبع متبوعها في التعريف والتنكير في حالة البدل المطابق إلا في واحدة منها: وهي بدل معرفة من معرفة، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح الآية:26]، في هذا النموذج ورد البدل والمبدل منه بلفظ واحد، حيث جاء البدل معرفا بالإضافة في (حميّة الجاهلية) والمبدل منه(الحميّة) بمعنى الأنفة كذلك معرفا بـــــ(أل) التعريف، على منوال البدل المطابق: الإجمال + تفصيل مبدوء بنفس كلمة الإجمال.

وبنفس الاستعمال ورد البدل في خطاب فرعون لهامان في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾[غافر الآية: 36_37] بدل معرفة من معرفة أيضاً فـــ(أسباب السماوات) بدل من المبدل منه (الأسباب)، ومن هذا القبيل كذلك قوله عز وجلّ:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾[مريم الآية:64_65]، فهنا (ربُّ السماوات والأرض) بدل مطابق من المبدل منه (ربُّك).

وفي استعمال قرآني مخالف للأول ورد البدل بدلَ نكرة من معرفة بشرط أن يكون البدل موصوفا، نحو قوله تعالى:﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[العلق الآية: 15_16]، فأبدل ناصية وهي نكرة من الناصية وهي معرفة غير أنه لا يحسن إبدال النكرة من المعرفة إلاّ إذا كانت موصوفةً.[49]

وفي نوع آخر للبدل ورد استعمال القرآن لبدل معرفة من نكرة في قوله عز وجلّ:﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ ﴾[الشورى الآية:52_53]، وفي هذا الموضع ورد البدل المطابق المعرفة(صراطِ اللّهِ) بلفظ المبدل منه(صراطٍ مستقيمٍ).

وفي موضع آخر ورد البدل مخالفا للفظ المبدلِ منه شكلا ولكن بنفس المعنى في بدل النكرة من النكرة في قوله عز وجلّ:﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾[آل عمران الآية:154]، وردت لفظة (نُعاساً) بدل نكرة من المبدل منه (أَمَنَةً) النكرة، وممّا سبق يتضح في بدل(النكرة من المعرفة)، وبدل(المعرفة من النكرة) أنّ التّابع (البدل) لا يتبع المبدل منه في التعريف والتنكير. غير إنَّ في عطف البيان لا بدّ للمعطوف أنْ يتبع المعطوف عليه في ملحظ التعريف خلاف البدل الذي يجوز فيه عدم التبعية في التعريف والتنكير، كما هو موضح في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾[الأنعام الآية:74]، والملاحظ هنا لفظة (آزر) وردت عطف بيان معرفا بالعلمية والمعطوف (أبيهِ) معرفا بالإضافة، فملحظ الصرف إذا هو المحدد لوظيفة عطف البيان.

وعلى نفس المنوال ورد عطف البيان في الاستعمال القرآني تابعًا للمعطوف عليه من حيث التعريف كملحظ صرفي واضح؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[طه الآية:12]، فـــ(طُوًى) عطف بيان معرفة من اسم علم لاسم الواد الذي كلم الله فيه سيدنا موسى عليه السلام، وورد في هذا الموضع ليفسر المعرفة التي قبلها (الواد المقدّس) لا بوصف عارض عليها.

خاتمة:

خلُص البحث في الأخير إلى فهم العلاقة القائمة بين علوم اللغة العربية خصوصاً بين علمي النحو والصرف التي تتضح في دور علم الصرف الذي يقوم بالكشف عن بعض الوظائف النحوية المتشابهة في التراكيب اللغوية عموما، وفي القرآن الكريم كتاب العربية الأول بوجه خاص لاعتمادنا عليه تطبيقاً في الكشف عن هذه الظاهرة في نماذج مختارة منه، وقد تمّ التوصّل إلى النتائج الآتية:

_ فهم العلاقات القائمة بين عناصر نظام اللغة العربية يتطلّب الاعتماد على منهج تحليلي متكامل بين علومها؛ من صوتها وصرفها ونحوها ودلالتها، والذي يفصل بين علومها غرضه تذليل مقاصدها للتحكم في تعلّم نظامها.

_ للملامح الشكلية المتعلقة بالاسمية في البنى الصرفية علاقة مطردة مع الوظائف النحوية في تراكيب اللغة العربية.

_ يعدّ ملمح الاشتقاق مقابل الجمود، وملمح التعريف مقابل التنكير من أهم المميّزات بين الوظائف النحوية المستقلة المتشابهة نحو: الحال والتمييز في التراكيب الفعلية.

_ تفرّق الملامح الصرفية أيضا بين مكملات الاسم والتي تحمل مصطلح التوابع كعطف البيان والنعت والبدل، وأنّ أوجه الاختلاف بينها يظهر في الملمح الصرفي كعنصر مميز لوظيفة الكلمة في الجملة.

هوامش:

[1] - خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها(منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، (1984)، جدّة، ط1، ص26_ 29.

[2] - ابن يعيش، موفق الدّين أبي البقاء يعيش بن علي: شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، (2001)، بيروت، لبنان، الجزء 1، ط1، ص20.

[3] - محمود عبد السلام شرف الدين: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دار مرجان، (1984)، القاهرة،ط1، ص8.

[4] - ممدوح عبد الرحمن الرمالي: العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، دار المعرفة الجامعية، (1996)، (دط)، ص216.

[5] - عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، (دت)، بيروت، (دط)، ص7.

[6] - محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، (2011)، القاهرة، ط2، ص15، 16.

[7] - ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، (1994)، الدار البيضاء، المغرب، (دط)، ص178.

[8] - ينظر: رمضان عبد الله: الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، (2006)، الإسكندرية، ط1، ص 79.

[9] - محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، (1971)، بيروت، ط3، الجزء1، ص212.

[10] - أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، (1998)، القاهرة، الجزء2، ط1، ص907.

[11] - لطيفة النجار: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، (1995)، دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ص55.
[12] - لطيفة إبراهيم النجار: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير، عمّان، ط1، 1994، ص150
[13] - ينظر:محمد عبد الفتاح الخطيب: ضوابط الفكر النحوي، تقـ: عبده الراجحي، دار البصائر، (2006)، القاهرة، الجزء1، ص 585_ 588
[14] - ينظر: ممدوح عبد الرحمن الرمالي، العربية والوظائف النحوية، ص217.
[15] - لطيفة إبراهيم النجار: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ص63.
[16] - لطيفة إبراهيم النجار: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ص63.
[17] - ينظر: ابن هشام النحوي: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، (2001)، بيروت، لبنان، ط1، ص136.
[18] - عاصم بيطار: النحو والصرف، منشورات جامعة دمشق، (2004)، ط9، ص184.
[19] - ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، منشورات المكتبة العصرية، (1994)، صيدا، بيروت، الجزء3، ط30، ص114.
[20] - ينظر: محمد خير حلواني: النحو الميسر، دار المأمون للتراث، (2013)، دمشق، الجزء2، ط1، ص 519.
[21] - ينظر: محمد عبد الله جبر: الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة، (1988)، الاسكندرية، ط1، ص46.
[22] - فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، (2000)، عمان، الجزء2، ط1، ص317.
[23] - سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، (2003)، بيروت، لبنان، (دط)، ص305.
[24] - أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (2008)، القاهرة، ط1، ص1253.
[25] - ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، الجزء3، ص115.
[26] - ينظر: مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، الجزء3، ص116.
[27] - ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، (2000)، الكويت، الجزء5، ط1، ص 426، 427.
[28] - محي الدين الدّرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد، (1992)، حمص، سورية، الجزء4، ط3، ص103.
[29] - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، الجزء1، ص 176.
[30] - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (1984)، تونس، الجزء 16، (دط)، ص 281، 282.
[31] - لطيفة إبراهيم النجار: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ص66.
[32] - ابن هشام: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ص 222.
[33] - عباس حسن: النحو الوافي، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، (1974)، مصر، الجزء3، ط3، ص 542.
[34] - لطيفة إبراهيم النجار: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، ص68.

[35]- عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، ص 541.
[36]- فاضل السامرائي: معاني النحو، الجزء 3، ص213.
[37]- عباس حسن: النحو الوافي، الجزء3، ص542.
[38]- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء 13، ص211.
[39]- عبد الله علوان وآخرون: إعراب القرآن الكريم، دار الصحابة للتراث، (2005)، طنطا، ط1، ص557.
[40]- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء27، ص177
[41]- أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، (2006)، بيروت، لبنان، الجزء21، ط1، ص479.
[42]- أبو القاسم جار الله، الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة،(2009)، بيروت، لبنان، ط3، ص1218.
[43]- أبو القاسم جار الله، الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص114
[44]- الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الجزء16، ص25
[45]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، (دت)، القاهرة، (دط)، ص31.
[46]- أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، (1996)، بيروت، الجزء1، ط3، ص 214.
[47]- أحمد مختار عمر وآخران، النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، (1994)، الكويت، ط4، ص534
[48]- فاضل السامرائي، معاني النحو، الجزء3، ص 213.
[49]- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، الجزء3، ص 238.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.
1. ابن هشام : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، دار إحياء التراث العربي، (2001)، بيروت، لبنان، ط1.
2. ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، (2000)، السلسلة التراثية، الكويت، الجزء5، ط1.
3. ابن يعيش، موفق الدّين أبي البقاء يعيش بن علي: شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية، (2001)، بيروت، لبنان، الجزء 1، ط1.
4. أبو القاسم جار الله، الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، (2009)، بيروت، لبنان، ط3.
5. أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج: الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، (1996)، بيروت، الجزء1، ط3.
6. أبو حيان الأندلسي: ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، (1998)، القاهرة، الجزء2، ط1.
7. أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، (2006)، بيروت، لبنان، الجزء21، ط1.

8. أحمد مختار عمر وآخران: النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط4، 1994.
9. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (2008)، القاهرة، ط1.
10. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، (1994)، المغرب، (دط).
11. خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها(منهج وتطبيق)،عالم المعرفة، (1984)، جدّة، ط1.
12. رمضان عبد الله: الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، (2006)، الإسكندرية، ط1.
13. سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، (2003)، بيروت، لبنان، (دط).
14. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (1984)، تونس، الجزء 13، 16 ،27، (دط).
15. عاصم بيطار: النحو والصرف، منشورات جامعة دمشق، (2004)، ط9.
16. عباس حسن: النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، دار المعارف، مصر، ط3، الجزء3، 1974.
17. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، (دت)، القاهرة، (دط).
18. عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم، دار الصحابة للتراث، (2005)، طنطا، ط1.
19. عبده الراجحي: التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، (دت)، بيروت، (دط).
20. فاضل السامرائي: معاني النحو، دار الفكر، (2000)، عمان، الجزء2 و3، ط1.
21. لطيفة إبراهيم النجار: دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير، (1994)، عمّان، ط1.
22. لطيفة النجار: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، (1995)، دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.
23. محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، (1971)، بيروت، الجزء1، ط3.
24. محمد خير حلواني: النحو الميسر، دار المأمون للتراث، (2013)، دمشق، الجزء2، ط1.
25. محمد عبد الفتاح الخطيب: ضوابط الفكر النحوي، تقـ: عبده الراجحي، دار البصائر، (2006)، القاهرة، الجزء1، (دط).
26. محمد عبد الله جبر: الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة، (1988)، الاسكندرية، ط1.
27. محمود عبد السلام شرف الدين: الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة، دار مرجان، (1984)، القاهرة، ط1.
28. محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، (2011)، القاهرة، ط2.
29. محي الدين الدّرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد، (1992)، حمص، سورية، الجزء4، ط3.
30. مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، منشورات المكتبة العصرية، (1994)، صيدا، بيروت، الجزء1و3، ط30.
31. ممدوح عبد الرحمن الرمالي: العربية والوظائف النحوية دراسة في اتساع النظام والأساليب، دار المعرفة الجامعية، (1996)، (دط).